

التعاون في حضارة الشعب

بقلم حضرة النائب المحترم الأستاذ حسن بك نافع

”نصر الحنية إلى أنقضاها الأستاذ حسن بك نافع عضو مجلس النواب
في ٤ يوبه سنة ١٩٤٤ في الاحتفال التعاوني بمركز ميت عمر تحت رعاية
حضرة صاحب المذلى فواد مراح الدين باشا وزير لشؤون الاجتماعية“

ياوزير التعاون ، ضيوفنا الكرام . إخواني التعاونيين .

اليوم يكتب التاريخ أبيض صفحه للدقهلية المظفرة عامة ولمركز ميت عمر المؤزر خاصة .
ويثبت بحروف من نور للبنين والحفدة — ولبن تدفعهم أصلاهم من بعد — أننا من الشعب
المصرى القليل الحلى العامر القلب بالايامن الوطنى المستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .
شعارنا — التعاون قوة لا تعاب — ودستورنا — الفرد لجماعة والجماعة للفرد .

بل — إن التعاون في حضارة الشعب . في الشعب نشأ — وإلى الشعب يعود . هذه
قولة الصديق ومنطق الواقع والحق — فانه لما هب أبونا عمر لطنى منذ ستة وثلاثين عاما
وأذن في البلاد حيلا على التعاون كما في طليعة الملبين . وإذا أمت البعوث بدوته كما
في حلقة وحلقة شقيقه أحمد من بعده أقرب الخالسين وآمن الحفاط الذكرين — وإذا
حان حين الجهاد كما أسبق الدعاة . وطلبة الفدا في صفوف العاملين — كل هذا ما اكتشفنا
حكومة ولا آزرنا حاكم . بل كما من الشعب أئمة ومأمومين .

نعم — اعذرنا ياوزير التعاون — ويا أعز الضيوف إذا نحن طالعتكم بطرف من
الذكريات فما بنا من زهو — وما هو بالمن — ولكننا بتاريخنا نعتز ويجهودنا نفخر —
وفي الخبر كثيرا ما تحسن الأسوة . ونحمد القدوة .

كانت بكرة الجمعيات التعاونية الزراعية بالقطر المصرى وليدة شبرا الخيمة من بلاد
مركز طنطا أعلن تأسيسها في أوائل سنة ١٩١٠ التعاونى القديم المغفور له زكى سليمان العبد .
أنهم بآيته وأكرم .

ثم بكرة الدقهلية من بكرة مركز ميت عمر بنقابة ممتاي — أعلن ولادتها عبدالرحمن بركة —
أمد الله في عمره بأكل العافية — وكان ذلك في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٠ . وثنت الدقهلية من بكرة
الميمون أيضا بشركة كوم النور الزراعية وكان ذلك في أول يناير سنة ١٩١١ ومن الحق على التعاونيين
أن يذكروا لمؤسسها العظيم المرحوم عبد الله هلال أنه كان من خير الناهضين وأبرز العاملين

واطلقوا شياطينهم يبشرون بالتعاون الحكومى على سنة الترهيب. بينما كنا نجد في الدعوة وسط هذه المناهضات العنيفة في نشره على سنة الترهيب — مبادئنا في التوالد. لنا الطيبات من الطيبين. ولهم الخبيثات من الخبيثين. وشتان ما بين الطهر والعهر. وهل يستوى ولد الحلال وولد السفاح ؟ ؟

واما ما في حربنا والتكليف بالتعاون عمدوا الى تكيله بالقانون ومما واده الاقيود وسلاسل. وما أن تقدموا للجمعية التشريعية بوثيقة العبودية حتى أنبرى لهم سعد زغلول التعاوني الخالد فاقطع السلاح من أيديهم وركز للتعاون الشمسي الحر أرسخ القواعد — ثم دقت الحرب العالمية طبولها في أغسطس سنة ١٩١٤ فخليل بينهم وبين ما يبتون .

وما أن تهادت الجيوش تمهيدا للصالح حتى اندلع طيب الثورة المصرية وعلت نارها واشتد أوارها ولاقي التعاون إثر ذلك ما لاقى حتى صدر قانونه الأول المرقوم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ وكان بالقطر كله من ذرية التعاون الصالحة ٢٥ جمعية زراعية — بالدقهلية منها وحدها ١١ جمعية تفرد مركز ميت غمر منها بعشرة... وكذلك كان بالقطر كله ١٧ جمعية منزلية اثنتان منها بالدقهلية احدهما بميت غمر .

أفلا يحق لنا في هذه الحقبة من تاريخ التعاون أن نفخر ؟ ؟

بعد ذلك أيها السادة تحيى مرحلة أخرى من التعاون — فلقد قبض الله له الوزر بالفلاح المغفور له محمد فتح الله بركات — بعث التعاون من مرقد وجهز للقانون جنازته ليتزله الرمس وكان عدد الجمعيات التعاونية قبيل انطلاق النعى وإعلان مولد القانون السعيد ١٥٠ جمعية عدد أعضائها ١٢ ألف عضو ورءوس أموالها خمسون ألف جنيه — وأكثرها الى الموت أقرب .

وأحدث فتح الله بركات التعاوني المجلى حدثه في تاريخ التعاون باشتراع القانون المرقوم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ على سند من سعد ورجاله — نعم السند . وأفاء التعاونيون ظلال القانون العتيد وأكرمهم الله فأولاه رجلا تعاونيا عالميا هو الدكتور ابراهيم رشاد — عمل للتعاون وما زال يعمل وعلى الله جزاؤه .

وهنا نستأذنكم أيها السادة لنعلو الراية التعاونية ونعلن سبق الدقهلية مرة أخرى فانها سجلت أول جمعية زراعية وفق ذلك القانون وهي جمعية بشلا تلك البلدة العظيمة بمركزنا بارك الله في رجالها الأكرمين — كان ذلك في فبراير سنة ١٩٢٧ رقم ١ بسجل مصلحة التعاون .

ليس من شك في أن التعاون وليد النهضة الوطنية ورببها وصدى صوتها المدوى — وما هو في مرحلته الحالية يصيبه من شرور الانقلابات السياسية ما يصيب الأمة ويجرع

معها الكأس المترعة بالصواب والعلم حتى الثمالة . لكن التعاون معكم بحسن اليقين ضد سموم السياسة — تحويه مناعته بصادق الإيمان من ظلم الساسة . والتعاونيون قوم يهزأون بسيف المعز ويخترون ذهبه . وهم أهل حلال في الترو وفي حمارة القيظ .

حشد على الحق عياف الخنا أنف إذا ثملت بهم مكروهة صبروا
شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا
أيها السادة

خبيب التعاون إذن طن عدته . ورد كيدهم إلى نحورهم . كل ولم يمت . وذهبت آمالهم في وأده مع الريح . وحاوز حدود الخطر على أعينهم وبدأ مرحلته الحاضرة عيا مما نهته قوته وأخنى وأراد الله أن يكون له من حصانة الشعب الآمن وفي ولاية حكومته وأهني السلامة .

نعم أيها السادة — لما قام عبد الحق على وزارة الشؤون هاله ما رأى من أمر التعاون وهوانه .

عرف الوزير له حقه . وأدى له طيلة عهده واجبه وأولاه من جهد المصلح بما أفاض الله عليه من فيض الوطنية الصادقة الطاهرة — حشد له الحشود ورتب لنصرته الجنود ورفع لتحيته الأعلام والبنود حتى دعاه الواجب إلى ميدان آخر فغادرنا مشكورا من الأعماق مزودا منا باطيب دعوات التوفيق والمداود .

ولى شأن التعاون من بعده سراج الدين — كريم من أكرمين . علم في العالمين . حكيم في شباب الناضجين . وفي مبرز في الشيوخ المجريين . وجنت عليه همته فنعقد له اللواء على معسكرين — كثير عدائهما وكثيرهم الشائنون لكه ماوفى . عمل من فوره فانتج وبدد أحلام الشامتين والمترصين قاد سفينتيه وسط الرياح الهوج ما اختل لأتبعها توازن وشفق بمقدميهما عباب اليم والموج كالجلجال صفاب غير مهادن وهاهو يخاذي بهما بر السلامة في هدوء الملاح الماهر والقائد المنتظم .

قطعت وزارة الشعب ستمها الأولى تبدد بنور الحق ظلام الباطل — وكلنا يدرك ويعلم وكان عليها أن تقطع ميادين الإصلاح بخطى وثيدة . فالالعام فيها مبنوثة . ومن ثم لاتستغنى عن الجلس . وكان عليها أن تزيل ماءلا حولها من أبراج التفاف والدس .

تسلمت وزارة الشؤون أمر التعاون في أواخرينا سنة ١٩٤١ قيلول مطلعها العيد وعدد مؤسساته ٧٩٥ جمعية أعضاؤها ٩٥٠٠٠ مساهم ورؤوس أموالها ٢٨٥٠٠٠ جنيه .

ومع هذا الركود فللدقهلية أن تفخر بأن لها في هذا الاحصاء ٨٧ جمعية أعضاؤها ٩٦١٨ ورؤوس أموالها ٢٧١٢٢ جنيتها و ٥٠٠ مليم . تفرد فيها بكرها مركز ميت غمر باثنتين وعشرين جمعية أعضاؤها ٣٦٦٠ ورؤوس أموالها ١٠٣٣٥ جنيتها و ٥٠٠ مليم .

ولما كنا نحن العمراويين خاصة قد أغرمتنا بالتعاون وأشربت قلوبنا حبه — نيا فسرى

قد شرايينا دما زكيا فقد عولنا أن نقبأ من عرشه مكانا عيا وخطونا الى الكمال خطواتنا
لشعية بصادق العزم لتحقيق الأمل . وأوردتنا وزارة الشؤون من مواردنا أعذب منهل
ومعنا شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ وجمعياتنا ٢٣ أعضاءا ٤٢٣٨ ورءوس أموالها
١١٣٠٨ جنيه وما بلغنا نهاية سبتمبر من العام الماضي (١٩٤٣) حتى قفز عدد جمعياتنا الى ٢٣
أعضاءا ٧٢١٨ ورءوس أموالها ١٣١٤٦ جنيه . وعندئذ أدركنا أننا من المهدف السامى دوننا
وهي موقعة الشرف الفاصلة أشرفنا .

وأعوزنا لهذا التخصص المثالى — فتخيرنا من أبنائنا ولدا طهورا كان فى الشباب
الحاملى المذكورا — وكان أبدا على التعاون غيورا — وفى الخدمة الاجتماعية كتابا مسطورا
قلعناه لوزارة الشؤون ففضلت بتعيينه وفى الاتحاد ركزه — لها منا الشكر أخلصه وأكثره .
وثبت الله أقداما وآتانا النصر من عنده مؤزرا أنه نعم المولى ونعم النصير واذن يعمنا
ساحة الوزير ندعوه لهذا الحفل التعاونى ليبارك نهضتنا ويضاعف بقوة قوتنا ولنستعرض
تمامه رءام ضيوف الكرام أرواحنا التعاونية المجتدة فى أشرف ميادين العمل لخير الأمة
ومجد الوطن .

أيها السادة

لنا فى التعاون ماض وحاضر ، فباضينا فأنخر وبنحاضنا نكثرا ، وحكم أقرأو كتابيه
وأعيدوا على الحصر حسابيه .

أولا — أسست الدقهلية ثانى جمعية تعاونية بالقطر المصرى وهى جمعية ستباى .
بنشرونا أنها بمركزنا .

ثانيا — أسست الدقهلية أول جمعية تعاونية رسمت طريق إصلاح القرية وتنسيق
الخدمات الاجتماعية بها وبادرت ذلك بالفعل وهى جمعية كوم النور . ونفردنا أنها
بمركزنا .

ثالثا — أسست الدقهلية إحدى عشر جمعية زراعية وجمعيتين متزيتين تلبية للدعوة
الأولى إلى أذاعها أبو التعاون المغفور له عمر لطفى لمركزنا فيها عشر جمعيات زراعية وواحدة
حتولية جميعها شعبية .

رابعا — سجلت الدقهلية أول جمعية زراعية بالقطر المصرى تطبيقا لقانون التعاون
رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ وهى جمعية بشلا . ونفردنا أنها بمركزنا .

خامسا — عقدت الدقهلية أول مؤتمر للتعاون بالقطر المصرى وكان ذلك بعاصمتها
النصورية فى ١٠ يونيه سنة ١٩٤٣ . ونفردنا أن أ كثرية أعضائه ومنظميه من مركزنا .

سادسا — أسست الدقهلية أول جمعية تعاونية زراعية انتظمت جميع سكان القرية
تحت رضى جمعية المنشاة الكبرى . ونفردنا أنها بمركزنا .

سابعا — أتمت الدقهلية أول مركز من مراكزها عم التعاون جميع بلاده ونفردنا أنه
مركز ميت غمر . وأصبحت نسبنا إلى سائر المراكز النصف أو يزيد .

ثامنا — إن الدقهلية أسست أول اتحاد تعاونى بالفطر كله حيث تم التصديق على عقده رسميا في ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٣ تحت رقم ٤٨ بالمحكمة الأهلية بميت غمر وقد وافينا مصلحة التعاون على الفور بنظامه التأسيسي لتسجيله ولعل ذلك التسجيل كان سرهونا بصدور القانون الجديد للتعاون وإعلان القرارات الوزارية المترتبة عليه ونفخنا أنه الاتحاد المركزى للجمعيات التعاونية بميت غمر .

ثاسعا — وختام المفانر — أن يحىء احتفالنا هذا فى عام ١٩٤٤ فى صيغته التعاونية لىؤدى فرض الكفاية عن التعاون فى العالم بأسره .

نعم إن هذا العام يصادف موعد العيد المئوى للتعاون حيث تأسست أول جمعية تعاونية فى العالم ببلدة روتشديل من أعمال إنجلترا . ولولا الحرب الحاضرة لكان هذا العيد أبهج الأعياد العالمية وأبهأها .

فليسجل التاريخ أن مصر قد قامت فى ركن تعاونى منها بإحياء هذا العيد على صورة لا يضيرها أن تجئ متواضعة . ويزيد من شرفنا نحن الدقهليين عامة والغمراويين خاصة أن نؤدى هذا الواجب فنبحث إلى أرواح المجاهدين لمجد التعاون الذين غيبتهم القبور أصدق الدعوات والرحمات . ونحى إخواننا التعاونيين فى مشارق الأرض ومغارها أطيب التحيات المباركات ونسوق لهم أخلص التهنئات والتمنيات .

أيها السادة

إننا برغم هذا النصر المؤزر غير قانعين . ذلك لأن أقتنا التعاونى أوسع مدى وأبعد حدودا . ونحن إذا كنا قد أدركا من جهادنا بعض الوطر أو قطفنا بعض الثمر فهو نهاية البداية — وأول النهاية . والأمل المرحى أعظم وأنبى .

نحن قوم ندرك واجبنا نحو أنفسنا ونحو الأجيال المقبلة . وحتى لاتحق علينا لعنتها — نريد أن نصحح أخطاء آبائنا والجدود . ويكفيينا أننا حملنا أعباءها فلا نورثها مزيده مثقلة بأعباء جديدة إلى الذرارى والأعقاب .

أيها السادة :

نحن قوم نؤمن بالعد والزقيم . وقد تعلمنا وقرأنا أن سكان مصر بلغوا منذ قرن ٥٠ مليون من الأنفس كانوا يزرعون فى ٤ مليون من الأفدنة واليوم قد بلغوا ستة عشر مليوناً من الأنفس يزرعون فى خمسة ملايين ونصف من الأفدنة . ومعنى هذا أن الزيادة فى السكان وصلت إلى ثلاثة أمثال ونصف المثل فى حين أن زيادة الأتيطان لم تبلغ ٣٨ ٪ . ولو أن رقعة الأرض فى مصر اخضرت حتى الحواشى . أو أن منشآت الصناعة المصرية البحتة وما فى حكمها من وسائل الإنتاج القومى سد مسد الزراعة — لعدرنا — لكن الواقع غير ذلك — فما زال بمصر أكثر من ثلاثة ملايين فدان بركا لم تفتتح وأن حظنا من المؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى حظ اليتيم على مائدة اللثيم . !

أفلا نخزننا إذن أن يكثر العديد ويقل الحديد فتعيط ملكية الفرد في مدى القرن من ٢١/١ إلى تسعة قراريط ؟ ؟ .

وهلا يقض من مضاجعتنا أن يختل ميزان توزيع الثروة بين السكان فيملك ٧٪ منهم ٨٠٪ منها في حين يملك ٩٣٪ منهم وهم الاغلبية الساحقة ٢٠٪ الباقية ؟ ؟

أفلا يعرفنا الألم في لحظة من الفكر المضني عندما يتضح لنا أن رؤوس أموال جميع الشركات الأجنبية منذ نصف قرن بلغت خمسة وأربعين مليوناً من الجنيهات فتصل اليوم في مجموعها إلى ٨٩ مليوناً ليس للشركات المصرية البتة منها سوى أربعة ملايين فقط وأن تسع شركات أجنبية منها تملك وحدها خمسين مليوناً ؟ ؟

وهلا يبدو وعجيباً في بلد يزرع القطن والحبوب ويقتني الماشية أن تسلم جملة صادراته قبل الحرب أربعين مليوناً من الجنيهات يستورد منها بما قيمته ٢٤ مليوناً من الجنيهات أكسية وأعذية ؟ ؟

هنا ما بدا وما خفي أعظم أفلا يحق لنا أيها السادة أن ندق أجراس الخطر من الآن حتى نوقط النائم والوسنان وننبه اللاهي والغفلان . ونستلهم قادماً الحكمة ونوقد النار في قلوب الشبان ؟

أيها السادة :

مهلاً . ما نحن بالعربان الناعقة — فما نؤمن باتشاؤم ولا يعرف اليأس إلى قلوبنا من صيل .

إنما نحن نذكر . بل وننذر . وقد أعز من أنذر .

أيها السادة :

نقوا أن التعاون الذي حمل العبء في إصلاح حال كثير من الأمم والجماعات الشبيه حالنا بحالنا لو أنفع الدواء لمستصي أدوائنا سواء في النواحي الاقتصادية أو في المشاكل الاجتماعية ويكفي أنه أصبح صخرة النجاة في هذا العصر المملوء بالمكاره ولذلك أصبحت الدول الديمقراطية قاطبة تركز إلى وتعمد على الكثير من أساليبه انقاء التطورات الاجتماعية الخطيرة المتطورة وتخصنا من هزاتها العنيفة وقدرت في حسابها أن المحاربين الذين طلوا يرزحون في سعب الحرب وبجيمها طيلة سنها السوداء بدأوا يرسمون وهم في أخريات ساحات الوغى خطوط أحلام سعادتهم المنقبلة ويصوّرون مباحج العيش الرغيد المؤمل عقيب إلقاء السلاح . ومن ثم جاء مشروع السير بيفردج في إنجلترا مثلاً لهذا التحوط مشخصاً في نظام التأمين الاجتماعي واحتذاءه سائر المفكرين في الولايات المتحدة وغيرها من أحلاف الديمقراطية .

لكن للتعاونيين مذهباً يخالف هذا المذهب فهم لم يؤمنوا بالانتظار حتى يتبع الرعب وتضرب الشمس ضربتها — فيبدأ تفكيرهم في العلاج .

كلاً — أيها السادة — إن دستور التعاونيين الوقاية فهي للشر أدفع وللخير أجلب وأنفع . وإذا ذهب الساسة إلى الاستشفاء من هذه الأدوية بالتأمين الاجتماعي فعذرهم في هذا الإحسان المباشر وإن تشكل وتلون أنه ضروري لنظام الحكم ووسيلة الدولة فيه فرض تشريع

وسن اللوائح والقوانين . أما التعاونيون فإنهم يحققون الأمان من للفقر والجهل والإجرام والمرضى عن غير طريق المعونة الشخصية والإحسان المحفوت الذى يهدر الكرامة ويحقر الانسانية ويبلد الحس ويميت الشعور . ويتداركون ذلك بخلق المناعة بتقارض القوى وتقابض المافع وإفناء الفرد فى المجموع وتقويته بالجماعة .

أيها التعاونيون :

من أجل هذا كرسنا جهودنا لتعاون أمدلا ونود لو نسبله ماء زلالا نسيكم أكثسه هنية أو نخيله دواء فندلا به رئاتكم صبا شأليه .

أيها الإخوان :

والله لقد وصلنا بكم باب الأمن ووضعنا فى يديكم صمام الأمان .

فبالجماعات قد أسسناها . والاتحاد تقاه . وأنتم لهذا اليوم تهرسون فاحضنوا بفضلكم وذودوا عن عشكم وسيروا لعللا قدما — واعلموا أنكم بعد هذا المظهر الجميل المحب قد أصبحتم مرقوين من البلاد قاطبة — حكومة وشعبا — فاحذروا أن تهنوا فلكم سيد وابن سيد ليس منكم أسيف ولا عسيف .

يا أهلى وعترتى وحير العشراء :

إنى لكم فى الحب أحلصت . وفى صفوف المجاهدين الأطهار منذ نومة الأظفار أبلت جهدهما أسطعت . الدعوة أبلغت ورسالة أدبت . والله عليكم وعلى أئمتهد وهاهى ذؤابة عمرى تجبو بذكركم راضى النفس والقلب بذكرك الله وبحب الوطن عامر .

أما أنت ياوزير التعاون :

تفضل وتمهل وأعزنى سمعك الواعى . أطاملك بالألم والأمل وكلاهما أكسير فى حياة التعاون أجدى وأفعل .

أيها الوزير :

إن هذا الحقل التعاونى الذى طاب اليوم حصاده وشرفنا بآسنته قصاده قد أجهدنا حرثه ومهاددوا بهظنا بذره وريه وعهاده . ولقينا فى حراسته نصبا . نعم بشرنا أننا تجربة لكم نرجو أن تكون صالحة لا طالحة . ومن حركم استنطاقا ومن واجبنا المصارحة . اعلموا أن فى الحقل الأحجار وفى الأحجار صلا لا تقى شرها الرق ولا يدفع شرها السور . قد قفينا فى مغاورها الأثر . وقطعنا بالعزمة الصادقة الرأس والوتر .

وفى الحقول ذئاب — بدت تعدو على أنعامنا — فكففتها منا لفنة الحذر .

وفى الحقول كلاب — نجت قوافلنا — فالفمتها حجرا تلوحجر .

وبينا حقدة وفى حيرتنا حساد كم مغوا فى عدلنا بالفجش القذر . هادنا — فرغوا فى استروانا بذلم — ثم أعرضوا فرهبوا فما لوينا أعنة أفراسا وما أصغنا للنذر . صبح منا العزم والرأى استقر . ومضينا نترج الماء الكدر . وهما الغيث وجاد بضيان المطر .

ها هو الليل مضى وتحده السحر . ها هو الصبح بدا مشرق الطالع بمحر الطور .

حسن نافع